

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:  
قال المصنف -رحمه الله- :

الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة قال المصنف : فدليل الشهادة قوله تعالى : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨] ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده ، لا إله نافعاً جميع ما يُعبد من دون الله إلا الله مُثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] وقوله {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤].

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ففي هذه القطعة التي استمعنا إليها شروع من المؤلف -رحمه الله- في بيان أركان الإسلام فالإسلام مقام على خمسة مبان أعظمها وأشرفها وهي بوابة الإسلام وأول الأمر وأوسطه وآخره الشهادتان ، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله ، فأما شهادة ألا إله إلا الله فقد تقدم معناها وزادها الشيخ -رحمه الله- هاهنا بأن أقام الدليل على هذا المعنى فاستدل بقول الله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ، هذا لفظ الشهادة والملائكة أي الملائكة شهدوا بذلك أيضاً ؛ لأنهم عند ربهم وهم أعلم الخلق برهم وقد أثنى الله عليهم ثناءً عظماً فقال: {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨] وقال : {كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار ١١] فهؤلاء الملائكة العظام يشهدون لله -عز وجل- في الوحدانية وأولو العلم لله درهم ما أعظم حظهم وشرفهم حينما قرن الله شهادتهم بشهادة ذاته وملائكته ، وذلك أن أهل العلم قد نور الله عقولهم وبصائرهم فأبصروا الأشياء والحقائق على ما هي عليه ، ألم ترى أن الله تعالى أحل عليهم فقال: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: ٦] قوم يحيل الله -عز وجل- على رأيهم جديرون بالثناء ، ففي هذا شرف لأهل العلم وقال تعالى {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣] فأهل العلم لديهم الملكة والقدرة على الاستنباط ولذلك أثبت الله شهادتهم ، فهذه أعظم آية في أعظم شهادة في أعظم مشهود به من أعظم شاهد ، ثم بين معناها أي لا إله إلا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله فكلمة لا تفتقر إلى اسم وخبر لأنها لا النافية للجنس ، لا إله فاسمها إله فأين خبرها؟ خبرها محذوف تقديرها لا إله حق إلا الله ؛ لأن خبرها مرفوع ، فمعنى الكلام لا معبود بحق إلا الله -عز وجل- أما المعبودات المزعومة فكثير من الناس من يعبد الشجر ومنهم من يعبد الحجر والبقر

وأصناف المعبودات التي تخطر على البال وقد لا تخطر ببال إلا الله فأثبت الألوهية له وحده سبحانه فقال لا إله أي نافيةً لجميع ما يعبد من دون الله، إلا الله مثبتاً العبادة وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه وهذا تعليل حسن، فلما كان سبحانه لا شريك له في ملكه كان جديراً بأن يكون لا شريك له في عبادته، وتأملوا معي يا رعاكم الله في هذا المعنى العظيم الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ لتروا عظمة القرآن وقوة دلالاته وحجته يقول تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ} [سبأ: ٢٢] إذاً الله تعالى ابتداءً نفى عنهم ملك ذرة في السماوات أو في الأرض ربما قائل: لا يملكون استقلالاً لكن ربما يملكون مشاركة فيكون في ذلك نوع وجاهه لأن يعبدوا من دون الله فقال وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ فرمما قال قائل لا يملكون استقلالاً ولا مشاركة لكنهم بمرتلة الأعوان والخدم والحشم الذين لا يستغني عنهم السلاطين فيكون مسوغاً لعبادتهم ودعائهم من دون الله فقال الله {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ: ٢٢] أي معاون، إذاً محق الله -عز وجل- جميع ما قد يتسلل إلى الذهن من احتمال دعاء غير الله فهم لا يملكون استقلالاً ولا مشاركة ولا معاونة هل بقي شيء؟ بقي شيء وحيد ربما يتذرع به المشركون بل قد تذرعوها به ماذا؟ الشفاعة أنهم قالوا سلمنا أنهم لا يملكون استقلالاً ولا مشاركة ولا معاونة لكن لهم جاه ومترلة عند الله -عز وجل- تسوغ لنا أن نتخذهم وسائط كما هو الحال عند ملوك الدنيا يكون لهم وزراء مقربون فإذا توسط الإنسان بهم بلغوه مراده، هذا الاحتمال قائم وهو من أعظم أسباب الشرك فقال الله تعالى معقباً: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: ٢٣] إذا كانت الشفاعة لله جميعاً فمعنى ذلك أنها لا تطلب إلا من عنده، إذا كانت الشفاعة لا تنفع إلا بإذنه فهي ملكه إذا ما الفائدة أن تطلب ممن لا يملكها؟ الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة التي عند ملوك الدنيا، ملوك الدنيا يجيزون شفاعة فلان وعلان إما رغبة أو رهبة، لكن الله عز وجل لا يستكثر بنا من قلة ولا يستعيز بنا من ذلة، فلذلك كان تمكين بعض الصالحين والأنبياء من الشفاعة لإظهار فضلهم، لا أنهم يبادرن الله تعالى بذلك دون إذنه لا بد من شرطين كما سيأتينا، إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له فيا لهما من آيتين عظيمتين يمحقان الشرك من أصوله ويشبتان التوحيد، ولذا أردفهم الله تعالى بآية عظيمة قال {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ} من هم؟ الملائكة الذين هم أقوى من يتصور ممن يدعى من دون الله انظر حالهم مع ربهم {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣]، إذا كان هذا هو حال الملائكة المقربين أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي أخذت السماوات رجفة أو رعدة ثم خروا غشياً لما ينفذ في قلوبهم من الصوت العظيم كأنه صوت سلسلة على صفوان كما في صحيح البخاري، إذا كان هذا حال هؤلاء الذين هم أقوى من تتصور من يمكن أن يدعى من دون الله فما بالك بمن دونهم، فهذا من عظيم احتجاج القرآن ونفيه لمادة الشرك وإثباته لمادة التوحيد، فتأملوا في هذه المعاني العظيمة.

قال الشيخ - رحمه الله - : وتفسيرها الذي يوضحها أي كلمة التوحيد قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] نسأل الله أن يجمعنا بإبراهيم عليه السلام وبنينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، انظروا إلى هذا الرجل هذا النبي الكريم كيف صدع بكلمة التوحيد بين ظهرائي قومه قال إبراهيم لأبيه وقومه فخص وعم أي أنه عليه الصلاة والسلام لا يختلف الأمر عنده من قريب ولا بعيد فالذي أمر محمد أن يقول : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤] فرقى على الصفا وقال يا معشر قريش يا عباس بن عبد المطلب يا صفية عمة رسول يا فاطمة بنت محمد خص وعم كان كذلك جده إبراهيم عليه السلام قال لأبيه وقومه { إِنَّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } وكلمة براء يسميها أهل اللغة صفة مشبهة وهي أبلغ من أن يقول إنني بري مما تعبدون كلمة إنني براء كأنما كان هو ظرفاً للبراءة كأنه والبراءة نسيح، { إِنَّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي } [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فهذا يدل على أن قومه كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ولهذا تبرأ من جميع معبوداتهم واستثنى خالقه وإلهه الذي فطره، وهذا إذا اعتبرنا كلمة (إلا) استثناء متصل فهذا يدل على أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره فلما تبرأ من معبوداتهم استثنى ربه سبحانه وبمحمد إلا الذي فطرني، أما إن قلنا أن إلا استثناء منقطع فهذا يدل على أنهم لم يكونوا يعبدون الله فتبرأوا من جميع معبوداتهم، ثم قال : إلا الذي فطرني يعني بل أعبد الذي فطرني فعلاية الاستثناء المنقطع أن ترفع إلا وتضع مكانها بل والتوجيه الأول أولي وأرجح. فإن الأمم السابقة كانت تعبد الله لكنها تشرك معها غيره، إلا الذي فطرني ما معنى فطرني؟ أي ابتداء خلقي ولهذا معنى { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [فاطر: ١] أي مبتدأ خلقهن يقول ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أعلم ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر لهما فقال أحدهما : أنا فطرتهما، فقلت ما فطرتهما، قال أنا ابتدأت حفرها فعلم رضي الله عنه أن الفاطر يعني ابتداء الشيء، إذا قول إبراهيم عليه السلام إلا الذي فطرني من أقوى الأدلة ؛ لأنه يدل على أن الذي ابتداء خلقي وأوجد مادتي من العدم هو الحقيق بالعبادة، وبمثل ذا قال مؤمن القرية حينما أتى إلى قومه قال : { قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [يس: ٢٠ - ٢٢] تجد أن كلام أهل الإيمان متشابه وإلا لا علاقة زمنية ولا جغرافية بين إبراهيم عليه السلام ومؤمن القرية، لكن الإيمان واحد فيثمر ويخرج من المعاني نتائج واحدة فقال { إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } إي والله ولذا قال الله - عز وجل - في الحديث القدسي (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ<sup>(١)</sup>) ، يجب أن نشعر بهذا الافتقار لله - عز وجل - في مآكلنا ومشربنا، وفوق ذلك

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

كله في هداية قلوبنا، لهذا قال إبراهيم {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)} وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ { (وجعلها) إلام مرجع الضمير؟ إلى تلك الكلمة {كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني في ذريته لعلهم يرجعون يأوون إليها ويرجعون إليها عند الاختلاف لكن منهم من هدى الله ومنهم من ضل لأن إبراهيم سأل ربه ذلك لكن الله -عز وجل- بين أن منهم من يؤمن ومنهم يشرك.

قال : وقوله {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران: ٦٤] هذا أيها الإخوة الكرام توجيه رباني للنبي -صلى الله عليه وسلم- في مخاطبة أهل الكتاب وإذا قيل أهل الكتاب في الكتاب والسنة فالمراد بهم اليهود والنصارى، والمراد بالكتاب هو ما أنزل إليهم من ربه الله قد أنزل على موسى التوراة، وأنزل على عيسى الإنجيل، فهم يفترون عن بقية الأمم بأنهم أهل كتاب، وإن كانوا قد حرفوه ومن قسيمهم، من قسيم أهل الكتاب سماهم الله تعالى باسمين سماهم تارة المشركين وتارة الذين لا يعلمون، فقال تعالى : {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} [البينة: ١] فهم قسيمها، وفي موضع آخر {قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١١٣] يريد بهم سبحانه من ليسوا يهوداً ولا نصارى وفي مواضع فصل طوائفهم فسمى سبحانه الصابئة وغيرهم فإذا قيل يا أهل الكتاب فليذهب الوهل مباشرة إلى اليهود والنصارى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا} ماذا نلتمس من هذا نستنبط أيها الإخوان أننا نحن أصحاب المبادرة إلى الحوار، هذه الكلمة كلمة الحوار كلمة شاعت في العقود الأخيرة وكثرت والحوار هو المراجعة بين الطرفين، كما قال الله -عز وجل- : {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} [الكهف: ٣٧] وقال سبحانه {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: ١]. فالتحاور هو المراجعة في الكلام، فنستنبط من قول الله تعالى (تَعَالَوْا) أننا نحن أصحاب المبادرة، لا ننتظر منهم أن يدعوننا بل نحن أصحاب المشروع الدعوي الإيماني التوحيدي، فحري بنا أن نبادئهم بالدعوة، لكن تعالوا إلى ماذا؟ إلى الموائد والمحافل؟ لا {تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران: ٦٤] (كلمة) نتفق نحن وإياكم عليها هذا معنى سواء بيننا وبينكم، هذه الكلمة لم يدعها الله تعالى لتفسير مفسر، ولا لقول فقيه فتولى سبحانه تفسيرها وبيائها فقال: {أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ} [آل عمران: ٦٤]، هذه هي الكلمة السواء، فإذا خاطبنا اليهود والنصارى فخطابنا يجب أن ينطلق من هذا المضمون، وهذا النص كما أمر الله نبيه، وكما امتثل نبيه لأمر ربه فحينما كتب إلى هرقل عظيم الروم قال: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين<sup>(١)</sup>، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

(١) صحيح البخاري (٧)، صحيح مسلم (١٧٧٣).

أَرَبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ { [آل عمران: ٦٤] فكتب النبي -صلى الله عليه وسلم- له هذه الآية بنصها امتثالاً لأمر ربه وهكذا صنع مع نصارى نجران وهكذا صنع مع اليهود في المدينة كانت دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحواره لأهل الكتاب تنطلق من هذه الآية أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، لأنه من لزم التوحيد نفى الشرك، ولا يتخذ بعضاً أرباباً من دون الله، إذ أن القوم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، هذا هو مشروعنا وهذه هي دعوتنا التي نبادئ بها البشرية والناس جميعاً، من يوم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا ليس لنا مشروع سواه فإن أبو قال الله -عز وجل- {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤] ، إذاً ليس صواباً أن نبحث عن حل مشترك ولا أن نلتقي في منتصف الطريق وأن نتنازل عن بعض عقائدنا وهم كذلك، ثم نصنع توليفة من دين مهجن لا حاشا وكلا، الدين دين الله لسنا أوصياء عليه حتى نفضله على مقاس معين، يجب علينا أن نمتثل أمر ربنا وأن ندعو الناس جميعاً إلى دين الله الذي فيه سعادتهم ونجاتهم فإن هم استجابوا لذلك فحيا هلا ومرحاً، وإن أبو فإننا نقول كما أمرنا ربنا {اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ، علامة واضحة وشعار مشهور معروف وعلى هذا سار أهل الإسلام من لدن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبر القرون يدعون إلى دين الإسلام والتسليم برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.